

الدرس 2: الثورة البلشفية ونشأة الاتحاد السوفياتي إلى 1939

تمهيد إشكالي

كيف حوّلت أزمة الإمبراطورية الروسية والحرب العالمية الأولى احتجاجات اجتماعية إلى ثورة اشتراكية استولت على الحكم؟ وكيف واجه النظام الجديد الحرب الأهلية والأزمة الاقتصادية، ثم أسّس اتحاداً واسعاً ودولة ذات تخطيط مركزي، وما التناقض بين مشروع المساواة والواقع السياسي والاجتماعي؟ للإجابة، نتتبع أسباب الثورة ومراحلها، ثم بناء الاتحاد السوفياتي ونتائجه إلى سنة 1939.

أولاً: من أزمة الإمبراطورية إلى ثورة 1917

1. نظام متأزم ومجتمع غير متكافئ

كانت روسيا القيصرية إمبراطورية مترامية متعددة القوميات، خضعت فيها شعوب غير روسية لسياسات الترويس والتضييق على لغاتها ومؤسساتها. سياسياً، تركزت السلطة في يد القيصر، وافتقرت المشاركة الشعبية إلى النفوذ الفعلي. وقد فرضت ثورة 1905 بعض التنازلات، ومنها مجلس الدوما، لكن الحكم احتفظ بسلطته الواسعة وعطّل تأثير الإصلاحات كلما أمكن.

اقتصادياً، بقيت الزراعة واسعة الانتشار والإنتاجية ضعيفة، بينما تركز التصنيع في مدن محدودة واعتمد على رؤوس أموال أجنبية. لم تحل إصلاحات تحرير الفلاحين وتفكيك الملكية الجماعية القديمة مشكلة الأرض؛ إذ استفاد كبار الملاك والفلاحون الموسرون أكثر من صغار المزارعين، وظلت فئات واسعة فقيرة ومثقلة بالضرائب. أما العمال فواجهوا أجوراً منخفضة، وساعات عمل طويلة، وغياب الضمانات، فتنامى الاحتجاج والتنظيم الاشتراكي.

وتعددت قوى المعارضة: دعا الليبراليون إلى ملكية دستورية، وانقسم الاشتراكيون الديمقراطيون منذ 1903 إلى مناشفة رأوا أن الثورة الاشتراكية سابقة لأوانها، وبلشفية بقيادة **فلاديمير لينين** راهنت على تحالف العمال والفلاحين. ووجدت الحرب العالمية الأولى (1914–1918) مجتمعاً هشاً؛ ففاقمت الهزائم ونقص الغذاء وارتفاع الأسعار واضطراب النقل.

2. ثورتان وسقوط الحكم المؤقت

في **فبراير 1917** اندلعت في بتروغراد إضرابات واحتجاجات بسبب الجوع والحرب، وانضم جنود إلى المتظاهرين. وفي 27 فبراير انتقلت الحركة إلى إسقاط سلطة القيصر، وتنازل نيقولا الثاني في مارس. تشكلت حكومة مؤقتة ليبرالية ثم شارك فيها اشتراكيون معتدلون، بالتوازي مع مجالس السوفيات التي مثّلت العمال والجنود والفلاحين. نشأت بذلك ازدواجية سلطة: حكومة تعد بالانتخابات والإصلاح لكنها تواصل الحرب، وسوفيات تستمد نفوذها من التعبئة الشعبية.

أضعفت مواصلة الحرب وتأجيل الإصلاح الزراعي وحاجات المدن ثقة الجماهير بالحكومة المؤقتة. وفي يوليو 1917 اتسعت انتفاضة بتروغراد، ثم حاول الجنرال **كورنيكوف** إسقاط الحكومة، فكشفت الأزمة ضعفها، ومكّنت البلاشفة من توسيع نفوذهم داخل السوفيات. رفع لينين شعارات «السلام الفوري، الأرض للفلاحين، السلطة للسوفيات»، فجمعت مطالبها بين وقف الحرب وإعادة توزيع الأرض ونقل القرار إلى المجالس.

في **24 أكتوبر 1917** استولى البلاشفة على المراكز الحيوية في بتروغراد، وفي اليوم التالي أُعلن سقوط الحكومة المؤقتة وانتقال السلطة إلى السوفيات. تشكلت حكومة جديدة برئاسة لينين، وأسندت الشؤون الخارجية إلى **ليون تروتسكي**. ومن قراراتها تأميم أراضي القيصر والنبلاء والكنيسة وتوزيعها على الفلاحين، ووضع المصانع الكبرى والمصارف تحت رقابة الدولة، وإعلان مبدأ مساواة القوميات وحقها في تقرير مصيرها.

ثانياً: الحرب الأهلية ومحاولات إنقاذ الثورة

1. صلح بريست-ليتوفسك و«شيوعية الحرب»

لإخراج روسيا من الحرب وقّعت الحكومة البلشفية معاهدة **بريست-ليتوفسك في 3 مارس 1918** بعد مفاوضات قاسية. قبلت روسيا خسائر إقليمية وسكانية واقتصادية جسيمة، واعتبر لينين ذلك تنازلاً مؤلماً لربح الوقت وتثبيت الثورة.

لكن السلطة واجهت حرباً أهلية بين الجيش الأحمر، الذي نظّمه تروتسكي، والقوات البيضاء المناهضة للبلشفية، مع تدخل خارجي خشية امتداد الثورة. ولتعبئة الموارد اعتمدت **شيوعية الحرب (1921–1918)**: مصادرة فوائض الإنتاج الزراعي، تقييد التجارة الخاصة، تأميم الصناعات الكبرى وفرض العمل. رافقها قمع سياسي بواسطة جهاز «التشيكا» ومؤتمر الأممية الشيوعية الثالثة في موسكو سنة 1919 الذي دعم الحركات الثورية عالمياً. ساعدت هذه التدابير على تموين الجيش والمدن والانتصار في الحرب الأهلية مطلع 1921، لكنها أضعفت الإنتاج وعمّقت المجاعة والتوتر. وفي مارس 1921 تمرد بحارة كرونشتادت، ممن ساندوا ثورة أكتوبر، احتجاجاً على المصادرة وتدهور الأوضاع.

2. السياسة الاقتصادية الجديدة

استجابة للأزمة أقر المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي في مارس **1921** السياسة الاقتصادية الجديدة، وهي تراجع مؤقت عن بعض إجراءات شيوعية الحرب. استبدلت المصادرة بضريبة عينية، وأعادت قدراً من التجارة الخاصة، مع احتفاظ الدولة بالصناعات الكبرى والمصارف والنقل والتجارة الخارجية. انتعش الإنتاج، لكن ظهور «الكولاك» في الأرياف و«النيبمان» في المدن وسّع الخلاف داخل القيادة. بعد وفاة لينين في يناير 1924 اشتد الصراع بين تروتسكي وستالين؛ وأُبعد تروتسكي ونُفي، وأعلن التخلي عن السياسة الاقتصادية الجديدة في نهاية 1927.

ثالثاً: بناء الاتحاد السوفياتي وملامح النظام إلى 1939

أُعلن قيام **اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في ديسمبر 1922**، وضم أولاً روسيا الاتحادية وروسيا البيضاء وأوكرانيا وجمهوريات ما وراء القوقاز. أقر دستور 1924 مساواة الجمهوريات وحق الانضمام أو الانفصال، ثم وسّع دستور 1936 الاتحاد إلى إحدى عشرة جمهورية. غير أن القرارات الأساسية المتعلقة بالدفاع والسياسة الخارجية والاقتصاد بقيت مركزية، وتعززت الهيمنة الروسية، ما جعل المساواة القانونية لا تعني استقلالاً فعلياً متكافئاً.

سياسياً، أقام النظام ما سماه **ديكتاتورية البروليتاريا**، لكن الحزب الشيوعي البلشفي احتكر قيادة الدولة، وتحولت السوفيات تدريجياً إلى أدوات لتنفيذ قراراته. تعاظمت المركزية في عهد ستالين، الأمين العام للحزب منذ 1922، وتزامن بناء الدولة مع تطهير المعارضين ومحاكمات سياسية. نص دستور 1936 على حريات وحقوق اجتماعية، إلا أن الممارسة بقيت خاضعة لهيمنة الحزب وأجهزة الدولة.

اقتصادياً، ألغت الدولة الملكية الخاصة في القطاعات الكبرى، وعممت التعاونيات الزراعية: **السوفخوزات** مزارع تديرها الدولة، و**الكولخوزات** تعاونيات جماعية. واجه الفلاحون التعميم بمقاومة، وقوبلت المعارضة بالقمع، فيما تضرر الإنتاج الزراعي. ومنذ 1928 وضعت الدولة خططاً خماسية شاملة، أعطت الأولوية للصناعات الثقيلة والطاقة والتعدين، وربطت التصنيع بتعزيز الاستقلال الاقتصادي وقوة الاتحاد. تحقق نمو صناعي سريع، وأصبح الاتحاد قوة صناعية كبرى، لكن التفاوت بين التصنيع المتقدم وضعف الإنتاج الزراعي ظل قائماً.

اجتماعياً، وسّع النظام التعليم المجاني والإجباري، وحارب الأمية، وحدد يوم العمل بثماني ساعات وقدم بعض الضمانات للعمال، كما أعلن المساواة بين النساء والرجال. غير أن تحسن الخدمات لم يلغِ ضعف مستوى عيش شرائح من العمال والفلاحين، ورافقت المركزية طبقة بيروقراطية نافذة وتقلص الحريات، خصوصاً في عهد ستالين. لذلك يجب تقويم التجربة من جهتين: إنجازات التعبئة والتصنيع والتعليم، وحدودها المتمثلة في القمع والتفاوت واختلال التوازن بين القطاعات.

تمرين 1: موضوع مقالي تاريخي

الموضوع: «انطلقت الثورة البلشفية من أزمة روسيا القيصرية، ثم واجهت تحديات داخلية وخارجية قبل أن تفضي إلى نظام سوفياتي جديد». حلل هذه الفكرة مبرزاً التسلسل الزمني والروابط السببية إلى 1939.

الإصلاح النموذجي ومنهجية المقال

المقدمة: تُعرّف الثورة بأنها انتقال من الحكم القيصري إلى سلطة بلشفية سنة 1917، ضمن سياق الحرب والأزمة الاجتماعية. تُطرح الإشكالية: ما أسبابها ومراحلها، وكيف واجهت السلطة الجديدة التحديات وبنت نظامها؟

الجوهر: أولاً، بيّن هشاشة القيصرية: الاستبداد، التفاوت الزراعي، ضعف التصنيع، أوضاع العمال واضطهاد القوميات؛ ثم وضّح كيف جعلت الحرب الأزمات أشد. ثانياً، اربط بين ثورة فبراير وسقوط القيصر، ازدواج السلطة، فشل الحكومة المؤقتة، وشعارات البلاشفة التي فسرت انتقال التأييد إليهم وثورة أكتوبر. ثالثاً، حلل التحديات: تنازلات بريست-ليتوفسك، الحرب الأهلية وشيوعية الحرب، ثم أزمة 1921 والانتقال إلى السياسة الاقتصادية الجديدة. أخيراً، فسّر بناء الاتحاد منذ 1922، ومركزيته السياسية، والتحول إلى التخطيط والتصنيع منذ 1928، مع بيان المكاسب والكلفة الاجتماعية حتى 1939.

الخاتمة: خلص إلى أن نجاح البلاشفة نتج من التقاط مطالب السلام والأرض والسلطة، لكن تثبيت الحكم دفعهم إلى مركزية وقمع وتعبئة اقتصادية واسعة؛ أي إن التحول حقق تحديثاً سريعاً دون مطابقة كاملة بين المساواة المعلنة والممارسة.

منهج الاستدلال: اربط الأسباب بنتائجها (الحرب ← احتجاج فبراير؛ استمرار القتال ← تراجع الحكومة؛ الحرب الأهلية ← شيوعية الحرب؛ إنهاك الإنتاج ← السياسة الجديدة؛ الاستقلال الاقتصادي ← التخطيط). اجعل التواريخ أدلة داخل الحجة لا قائمة منفصلة.

تمرين 2: تحليل وثيقة تاريخية

وثيقة تعليمية مركبة بصياغة أصلية، لا تمثل اقتباساً عن شخص أو مصدر بعينه: «خرج الحكم الجديد من حرب أنهكت البلاد، فاختار إنهاء القتال بتنازلات إقليمية. ثم واجه خصوماً في الداخل ومساندة من الخارج، فجمع الغذاء للصناعة والجيش وقيّد المبادلات. وعندما اشتدت الأزمة والاعتراضات، أتاح للفلاح دفع ضريبة عينية وسمح ببعض التجارة، لكنه أبقى القطاعات الكبرى بيد الدولة».

الأسئلة: 1) عرّف الإطار الزمني والسياسي للوثيقة. 2) سمِّ الإجراء الذي أنهى مشاركة روسيا في الحرب، وحدد صعوبته. 3) استخرج إجراءين من سياسة مواجهة الحرب الأهلية، وفسر هدفهما. 4) ما السياسة التي تلت الأزمة، وما الذي أبقته الدولة تحت سيطرتها؟ 5) استنتج دلالة الانتقال بين السياستين.

الإصلاح النموذجي

1) تتناول الوثيقة روسيا بعد ثورة أكتوبر 1917، وبخاصة الفترة من معاهدة بريست-ليتوفسك سنة 1918 إلى السياسة الاقتصادية الجديدة سنة 1921. وهي نص تعليمي تلخيصي لا شهادة أصلية. 2) الإجراء هو معاهدة بريست-ليتوفسك الموقعة في 3 مارس 1918؛ وكانت صعبة لأنها فرضت خسائر واسعة في الأراضي والسكان والموارد، لكنها أخرجت روسيا من الحرب ومكّنت السلطة من التركيز على تثبيت الثورة. 3) الإجراءان: مصادرة فوائض الحبوب، وتقييد التجارة/تأميم الصناعات الكبرى. استهدفا تموين الجيش والمدن وتوجيه الموارد إلى الحرب الأهلية. وكان الجيش الأحمر بقيادة تروتسكي في مواجهة البيض والتدخل الخارجي. 4) هي السياسة الاقتصادية الجديدة التي أقرها المؤتمر العاشر للحزب في مارس 1921. سمحت بضريبة عينية وبعض التجارة والنشاط الصغير، مع بقاء الصناعة الكبرى والمصارف والنقل والتجارة الخارجية تحت سيطرة الدولة. 5) يكشف الانتقال أن القيادة عدّلت وسائلها حين هدد الانهيار الاقتصادي استمرار النظام: حافظت على القطاعات الاستراتيجية، وخففت القيود في المجالين الزراعي والتجاري. فكانت السياسة الجديدة تراجعاً تكتيكياً لا تخلياً عن الهدف الاشتراكي.

منهجية الوثيقة: قدّم نوع النص وموضوعه وزمنه، ثم فكك عباراته إلى إجراءات ونتائج، واربطها بمعرفة الدرس دون نسبة الوثيقة إلى مصدر غير موجود. اختم باستنتاج يجيب عن الإشكال بدلاً من إعادة صياغة النص.

نصائح امتحانية عملية

- أنشئ خطاً زمنياً من 1917 إلى 1936، ولا تخلط بين الثورة وتأسيس الاتحاد.
- ميّز بين شيوعية الحرب والسياسة الاقتصادية الجديدة، وبين الكولخوز (جماعي) والسوفخوز (تابع للدولة).
- استعمل المقارنة لإظهار التغير، ووازن في تقويم النظام بين التصنيع والتعليم من جهة والقمع واختلال الزراعة من جهة أخرى.
- خصص فقرة لكل فكرة، وأدرج التاريخ والاسم داخل الحجة؛ ولا تذكر وقائع تتجاوز 1939 إذا كان السؤال محصوراً فيه.

كلمات مفتاحية

- **السوفيات:** مجالس تمثيلية للعمال والجنود والفلاحين؛ صارت عملياً خاضعة لتوجيه الحزب.
- **البلشفية:** التيار الثوري بقيادة لينين داخل الاشتراكيين الديمقراطيين، دعا إلى إسقاط القيصرية وتحالف العمال والفلاحين.
- **شيوعية الحرب:** تدابير تعبئة ومصادرة وتأميم وقيود فرضت خلال الحرب الأهلية (1918–1921).
- **السياسة الاقتصادية الجديدة:** تراجع جزئي مؤقت منذ 1921 سمح بضريبة عينية ومبادلات محدودة، مع بقاء مفاصل الاقتصاد للدولة.
- **الكولخوز/السوفخوز:** الأول تعاونية زراعية جماعية، والثاني مزرعة تملكها وتديرها الدولة.
- **الخطة الخماسية:** برنامج مركزي متعدد السنوات لتوجيه الإنتاج، ركز منذ 1928 على التصنيع الثقيل.
- **البيروقراطية:** جهاز إداري مركزي واسع النفوذ، أسهم في إحكام سيطرة الحزب والدولة على المجتمع.

ملخص مراجعة سريع

أزمة القيصرية والحرب العالمية الأولى فجرتا ثورة فبراير 1917 وأسقطتا نيقولا الثاني، ثم عجزت الحكومة المؤقتة عن إيقاف الحرب وتحقيق الإصلاحات، فاستولى البلاشفة بقيادة لينين على الحكم في أكتوبر. أخرجت معاهدة بريست-ليتوفسك روسيا من الحرب، ثم ساعدت شيوعية الحرب الجيش الأحمر على الانتصار لكنها عمّقت الأزمة؛ فأقرت السياسة الاقتصادية الجديدة سنة 1921. تأسس الاتحاد السوفياتي سنة 1922، واتجه في عهد ستالين إلى المركزية والتخطيط والتصنيع منذ 1928. حقق النظام مكاسب صناعية وتعليمية واجتماعية، لكنه اقترن بالقمع والتفاوت وضعف الزراعة.

المصدر

كتاب التاريخ للسنة الرابعة ثانوي (الآداب والاقتصاد والتصرف)، الدرس 2، **الصفحات المطبوعة 25–39**. يبدأ الدرس الثالث في الصفحة المطبوعة 40.



مشهد تاريخي مُعاد تمثيله بصرياً لأغراض تعليمية، وليس تسجيلاً فوتوغرافياً أصلياً.



إعادة تمثيل تاريخية تعليمية مولّدة للسياق، وليست صورة أرشيفية.